مذكرة

في سيرة والدي

الشيخ مقبل ـرحمه اللهـ

الجزء ١

أم عبد الله ـ حفظها الله ـ

بنت الشيخ مقبل الوادعي ـرحمه اللهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكر في سيرة والدي

الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

أم عـــبـــد الله

بنت الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

١ - حرصه رحمه الله على سلامة قلبه

رحم الله والدي وغفر له فقد ذكر لنا أنه قيل له: تأتي وتدرِّس في جامعة صنعاء، وهي اختلاطية، فرفض رحمه الله، فقيل له: يأتي الشيوعي ويدرسُهن.

فقال: يأتي الشيطان ويدرسهن ولا أفتن نفسي.

وكان يكرِّر علينا: السلامة لا يعادلها شيءٌ.

وكان يذكر لنا أثر سعيد بن المسيب: لو ائتُمِنت على كذا وكذا من الذهب لوجدت نفسي عليه أمينا، ولو ائتُمنت على جارية سوداء لما وجدت نفسي عليها أمينا، وكان في سن الثمانين.

٢ - طاعته رحمه الله لولي الأمر وعدم الافتئات عليه

وبعد هذا أنا لا أحب أن تأتوا وتحرِّشوا بيننا وبين حكامنا، وتحارشوا بين الدعاة إلى الله، لا بد أن تسألوا عمَّا ينفع المجتمع الألماني، أمرٌ مهم أن تسألوا عمَّا ينفع المجتمع الألماني.

أما نحن -وبين حكامنا- ليس بيننا شيء نحن وهُم بحمد الله.

لو قال علي عبدالله صالح: أنت يا مقبل لست مواطنًا صالحًا، اخرج من اليمن، لخرجتُ من اليمن، والله المستعان. (١)

---

(١) [المرجع ش/ جلسة مع صحفي ألماني لوالدي رحمه الله]

٣- الالتزام بالأخذ بالدليل ودعوته إلى عدم التقليد

بحمد الله موقف أهل السنة ثابت على كتاب الله وعلى سنة رسول الله. ونحن يسوؤنا جدًّا أن يحال بين الشباب وبين كتاب ربهم وسنة نبيهم، وإلا فنحن لسنا نستكثر بهم، ولسنا ندعوهم أن يتبعونا، فلسنا أهلًا أن نتبع.(١)

٤- الغربة في طلب العلم

أنا أنصحكم نصيحة أن تتغرَّبوا، فإن البلد لها تأثير، والعالم عند أن استفتاه رجل وأخبره أنه قتل -مائة نفس-، فقال له: ارحل عن بلدك فإنها أرض سَوء.

ثم إن الغربة تساعد على طلب العلم، والحمد لله الذي وفقنا للغربة، والله المستعان.(٢)

٥ - من إقباله رحمه الله على العلم أيام الطلب

عند أن كنت في الجامعة الإسلامية المدرسون والزملاء ينتقدوني لماذا لا أقرأ في الجرائد، وعند أن حضَّرنا رسالة الماجستير، يأتون ويسألوني.

وأنا ما سألتهم ماذا قالت صحيفة عكاظ؟ ولا يومًا واحدًا سألتهم ماذا قالت صحيفة عكاظ ؟ وماذا قالت صحيفة الشرق الأوسط ولا غيرها؟ فالحمد لله الذي أغنانا عنكم، وعن صحُفكم. (٣)

---

(١) [ش/ آداب وأحكام العيد لوالدي الشيخ مقبل بن هادي رحمه الله]

(٢)[المرجع ش/ نصيحتي لمن تاب من المكارمة لوالدي الشيخ مقبل رحمه الله]

(٣)[ش/ الأَسئِلَةُ الجِيُولُوجِيَّةُ مِنَ الجَامِعَةِ اليَمَنِيَّةِ لوالدي رحمه الله]

٦ - من زُهْدِه رحمه الله وَتَوَاضُعِهِ

مرة وأنا في صنعاء، وكانوا يظنون أني بدوي بالصراحة، يقولون: هذا البدوي الذي سيتكلم ، قالوا: هذا البدوي الذي سيتكلم، وماذا يا إخواننا وما شاء الله يجدون إقبالًا، آية قرآنية وحديثًا نبويًّا.

وبعد ما انتهيت، قالوا: والله هذا البدوي أحسن من دكاترتنا.(١)

٧ - مِنْ إضَافَتِهِ النِّعَمَ إلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ

أنا أعرف قِلَّةَ عِلمي، ولكن الله الذي علَّمكم ما هو أنا يا إخوان، الله الذي علمكم ووفقكم.

الله يعلم أننا لسنا راضين عن أنفسنا.

ووالله والله إنني أدعو الله ألا يميتني على هذه الحالة.

أحب أن يميتني وهو راضٍ عني، وأنا مقبل عليه بقلبي وبجميع جوارحي، أما هذه الحالة فالله المستعان. (٢)

٨ - حِرْصُهُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى سَلَامَةِ البَلَدِ مَنَ الفِتَنِ

الله يعلم أننا حريصون على سلامة البلد من الفتن أعظم من المسئولين.

أنا أستطيع أقسم بالله أننا أحرص على سلامة البلد من الفتن أعظم من المسئولين. (٣)

---

(١) ش/ الأَسئِلَةُ الجِيُولُوجِيَّةُ مِنَ الجَامِعَةِ اليَمَنِيَّةِ لوالدي رحمه الله

(٢)مقتطف من ش/ الأَسئِلَةُ الجِيُولُوجِيَّةُ مِنَ الجَامِعَةِ اليَمَنِيَّةِ لوالدي رحمه الله.

(٣)ش/ الأَسئِلَةُ الجِيُولُوجِيَّةُ مِنَ الجَامِعَةِ اليَمَنِيَّةِ لوالدي الشيخ مقبل رحمه الله.

٩ ـ الأخذ بظاهر الدليل ما لم يأتِ صارف

سمعت والدي رحمه الله يقول: الأخذُ بالظاهر راحة، لكن لا كظاهرية ابن حزم في جموده على الظاهر.

ومرة في الدرس كان يتكلم عن المذهب الظاهري، فقام ولد صغير - لعل وليَّه الذي أمره - فقال للشيخ: وأنتَ ظاهري، فقال رحمه الله: الأخذ بالظاهر راحة، لكن لا كظاهرية ابن حزم.

١٠ ـ الصبر على جَور ولاة الأمر

قال رحمه الله تعالى: جاءنا مدير الأمن السياسي وقال: تسلِّم الغرباءَ لنا. قلت: أما أننا نسلمهم فلو سقطتِ السماءُ على الأرض؛ لأنكم تعتبرون ظلمة وهم مظلومون، وهم غُرباء ولكن أقول لك: لو أتيتم بالحرار وخربتم بيتي أو خربتم مسجدي فوالله لا يرتفع في وجوهكم بندقية.(١)

١١ ـ الصبر على جَور ولاة الأمر

أرسل إلينا الرئيس علي عبد الله صالح مع الشيخ صالح هندي دغسان وذكر لي كلامًا.

فقلت له: قل له: إذا كان يرى في بقائي في اليمن فتنة، فأنا مستعد أن آخذ مكتبتي وأرحل عن اليمن فليس لي في اليمن إلا المكتبة.

فلما رجع إليه الرسول قال الرئيس: أهذا كلام مقبل؟ قال: نعم.

فقال: قل له: يعمل الذي يريد.

---

(١) (٢) [الباعث على شرح الحوادث67 لوالدي]

١٢ ـ مُحاسَبَتُهُ لِنَفْسِهِ رَحِمَهُ اللهُ

سمعته يقول: أول ما ظهرت عندي أوَّلُ شيبةٍ.

قلت: الله المستعان، ماذا قد قدَّمتَ للإسلام؟!

١٣ ـ هل يقال: وبعد عند الانتقال إلى أسلوب آخر؟

كنتُ أسمع والدي رَحِمَهُ اللهُ أحيانًا في الدرس، إذا أراد أن ينتقل إلى تنبيه، أو إعلامهم بشيءٍ يقول: وبعدُ. ثم يذكر ما أراده.

قلت: وهذا يفيدنا أن كلمة «وبعد»، ومثلها «أما بعد»، قد يُؤتَى بها؛ للانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر.

فائدة: معنى الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر.

قال ابن القاسم في «حاشية الروض المربع»(1/43): أي: يأتي بها المتكلم إذا كان في كلام وأراد الانتقال إلى غيره، ولا يؤتَى بها في أول الكلام، وأسلوب بالضم أي: من الطريق أو فنٍّ، جمعه أساليب.

وأعلم أن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ينتقد هذا، في «شرح بلوغ المرام»(1/49)، ويقول: لكن هذا فيه نظر، ولكنها كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع، ما هو من أسلوب إلى آخر لو تغير الأسلوب ما نجيء بـ «أما بعد»، لكن نأتي بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع.

ولكلٍّ اجتهاده، ذكرتُ هذا؛ ليستفاد، وباللهِ التوفيق.

١٤ ـ مِنْ مداراته المريض

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ إذا وجدَ إحدانا مريضةً يدعو لها، ويقوِّيها ويرفع معنويتَها، ويقول: ما شاءَ اللهُ، اليوم أنتِ بخيرٍ. فرُبما يرتفع المرضُ بإذن اللهِ.

قلت: قال ابن القيم رحمه الله في«زادالمعاد»(4/107): وَتَفْرِيحُ نَفْسِ الْمَرِيضِ، وَتَطْيِيبُ قَلْبِهِ، وَإِدْخَالُ مَا يَسُرُّهُ عَلَيْهِ، لَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ عِلَّتِهِ وَخِفَّتِهَا؛ فَإِنَّ الْأَرْوَاحَ وَالْقُوَى تَقْوَى بِذَلِكَ، فَتُسَاعِدُ الطَّبِيعَةَ عَلَى دَفْعِ الْمُؤْذِي، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمَرْضَى تَنْتَعِشُ قُوَاهُ بِعِيَادَةِ مَنْ يُحِبُّونَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ، وَرُؤْيَتِهِمْ لَهُمْ، وَلُطْفِهِمْ بِهِمْ، وَمُكَالَمَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَهَذَا أَحَدُ فَوَائِدِ عِيَادَةِ الْمَرْضَى الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهِمْ. اهـ المراد.

١٥ ـ من الأحاديث التي كان رَحِمَهُ الله يرَدِّدُهَا في رحلتِهِ الأخيرة

عن أبي عَزَّة عن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، أَوْ قَالَ: بِهَا حَاجَةً»

كان والدي رَحِمَهُ اللهُ في رحلته الأخيرة وفي مرض وفاته عندما كان يتنقل من مكان إلى آخر للعلاج يردِّد كثيرًا هذا الحديث، يُذَكِّر نفسه لعل أجلَكَ في غير بلدك ومعهدك.

١٦ ـ جنَّـــةُ الدنيـــــا

ولست أدعو المرأة إلى أن تتزوج بفاسق، ولا تتزوج برجلٍ قطعت قلبُهُ الدنيا.

إذا جاء طالب علم محب للعلم فذاك.

أما إذا كان حافظًا للقرآن، وكان داعيًا وكاتبًا إلى الله، ورُزِقَ امرأة صالحةً تدعو إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه تعتبرُ جنَّةَ الدنيا.

---

(١) رواه الترمذي (2147) والحديث في «الصحيح المسند» (1238) لوالدي الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

(٢) غارة الأشرطة 2/487 لوالدي الشيخ مقبل

١٧ - تثبيط الشيطان عن طلبِ العلم

أتاني مرة الشيطان- أي: وسوس له - فقال لي: أنت لا تصلح لطلب العلم، أنت لا تصلح إلا للمسحة والزنبيل، فأعرضت [يعني: لا يصلح إلا للحرث والزراعة]، فالشيطان حريص على صرفك عن طلب العلم؛ لأن العلم أعظم ما يغيظ الشيطان.

١٨ - عِزَّتُــهُ وَإِذْلَالُــهُ للكُفَّــارِ

مرةً جاءتْ سفيرة أمريكا إلى دار الحديث بدماج ومعها موكب من الرجال والنساء لمقابلةِ والدي رحمه الله.

وقالت: تريد أن تسألَهُ عن بعض الأمور.

فرفض أنْ يُقَابِلَهَا، وقال: تذهب إلى مسجد النساء وتسأل عمَّا شاءت، فغضِبتْ ونَخَرَتْ، ولم يبالِ بها رحمه الله.

١٩ - مجــد الديــن المؤيــدي

قال والدي رَحِمَهُ الله عن مجد الدين الشيعي: مرة رأى معي «الشفا» للقاضي عياض، فأراد أن يأخذه منِّي فأبيت، فقال: هذا شفاكم وليس بشفانا؛ لأن عندهم «الشفا» للأمير الحسين، هذا شفاكم وليس بشفانا، وأنا ازددت حبًّا للكتاب الذي هو «الشفا» للقاضي عياض، فهو -أي مجد الدين-متعصب للمذهب الشيعي من زمان، لكنني كنتُ أستفيد منه. (1)

---

(١) [المرجع/ ش جواب على سؤال: نريد أن تعرض لنا كيف بدأت رحلتك في طلب للعلم؟]

٢٠ - انتسابه أيام الجامعة إلى كلية الشريعة وأصول الدين والدعوة

بحمد الله أيضا الجامعة لا أُعطيها إلا في آخر العام؛ من أجل هذا انتسبتُ في كلية الشريعة وأخذت شهادة.

وكذلك كنت في كلية أصول الدين والدعوة، وأخذت منها شهادة.

والحمد لله يعني مقررات الجامعة طيبة

ومقررات معهد الحرم كلها طيبة، من فضل ربي.(١)

٢١ - الشيخ رَحِمَهُ الله لا يحب الدروس المقررة رسميًّا

المهم أنني أُعطيت هكذا طبيعتي وغريزتي أنني ما أحب الدروس المقررة رسْمِيًّا، حتى ولو كانت مفيدة أذهب وأقرأ في الكتب الأخرى.

ووقتُ الاختبار بحمد الله، نأخذ من هاهنا ومن هاهنا ومن هاهنا، والله المستعان.(٢)

٢٢ ـ تمنيه رَحِمَهُ الله أن يجلس بين السحاب عند رجوعه إلى اليمن

عند أن رجعنا إلى اليمن .. ونحن في الطائرة وأرى السحاب متراكمًا، أقول: يا ليتني أجلس بين هذا السحاب. (٣)

---

(١)(٢)(٣) [المرجع/ ش جواب على سؤال: نريد أن تعرض لنا كيف بدأت رحلتك في طلب للعلم؟]

٢٣ ـ اختلاف والدي مع الإخوان المسلمين

قال رَحِمَهُ اللهُ في الكلام على نزوله بأرض اليمن: وعُرض علي بحمد الله أن أدَرِّس في الجامعة، وعرض علي أيضا أي عمل أريد أن أعمل فيه، ثم بعدها تركت هذا من أجل أمرين:

الأول: أنني أعرف أنه لا بدَّ من الاصطدام مع الإخوان المسلمين، أعرف هذا؛ لأنهم قد أذاقونا المُرَّ ونحن هنالك، يعني الحزبية أذاقتنا المرَّ، إن جاءت رحلةٌ إلى الذين هم معهم، وإن جاءت مسابقات ..، حتى إنني ذات مرة كان فيه مسابقة وأردت أن أدخلَ معهم في كتاب عندهم...وذكروا لنا كتبًا ومنها «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، أنا اخترت «السياسة الشرعية»، أُلْغيَتِ المسابقة، فكنت أعرف أنه لا بُد من الاصطدام بهم، فأقول: لا أكون بينهم، أكونُ بعيدًا. (١)

٢٤ ـ الوِحشة التي وجدها لما رجع إلى اليمن وسببها

بعد أن وصلنا هاهنا وحشة أيما وحشة:

فارقتُ إخواني بالمدينة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وفارقت الحرمين.

وأيضًا المجتمع اليمني لا يدري الشخص بأي شيء يبدأ؟

أينكر القات، أينكر الشركياتِ، أينكر البردقان، أينكر سبَّ الصحابة...، ما يدري بأي شيء يبدأ؟! (٢)

---

(١)(٢) [المرجع/ ش جواب على سؤال: نريد أن تعرض لنا كيف بدأت رحلتك في طلب للعلم؟]

٢٥ ـ شكره لأقربائه على تعاونهم معه

الحمد لله استقبلني أهل البلد أسأل الله العظيم، أن يبارك فيهم ويجزيهم خيرًا -الذين هم أقربائي- استقبلوني استقبالًا طيبا، وآنسوني بحمد الله، وبنوا لنا مسجدًا لعله يسع قدر خمسة وعشرين واحدًا، ونخطب الجمعة قدر ست نفر.

المهم حصل خير كثير، ثم أتانا إخوانٌ مصريون، ثم أتانا بعد هذا إخوانٌ يمنيون. (١)

٢٦ ـ مـــن تواضعـــه رحمـــه الله

الدعوةُ ليست والله ببصيرتنا، أنا أعترف على نفسي أنَّ بي شيئًا من الحماقة، فليبلغ الشاهد الغائب، وهذا الكلام مسجَّل، وليست أيضا بكثرةِ علمنا، وليست بفصاحتنا في الخطابة، رُبَّمَا أتتعتع لا أكاد أُبِين، وليست بكثرة المادة وكثرة المال حتى نعطي الناس ونتألفَهم.

فأنا أعتقد ما هو إلَّا شيء من الله سبحانه وتعالى. (٢)

٢٧ ـ تفاؤله بالخير لهذه الأمة بعد وفاتِه

قال رَحِمَهُ الله متحدثًا عن الإقبال على الدعوة: فأنا أعتقد ما هو إلَّا شيء من الله سبحانه وتعالى، ولو مات مقبل أنا متأكد أن الذي جَمَعَ هذه القلوب على مقبل أنه سيجمعها على إخوانه الآخرين لماذا؟

لأني أنا ليست لي بصيرة في الدعوة، أيضًا العلم الذي أجهله أكثر من الذي أعرفه. (٣)

---

(١)(٢) (٣)[المرجع/ ش جواب على سؤال: نريد أن تعرض لنا كيف بدأت رحلتك في طلب للعلم؟]

٢٨ ـ نصيحته بعدم الاقتداء بالعلماء المعاصرين ولكن بالمتقدمين

قال والدي رَحِمَهُ الله وهو يتحدث عن حياتِه: أقصد من هذا أنه لا يستحق أن يُذْكر في جانب ما قام به علماؤنا المتقدمون.

لأنني قد نصحتُ إخواني في الله غيرَ مرة ألَّا يكون مقياسهُم عالمًا عصرِيًّا، لماذا؟

لأن العصري أكبر واحد يعتبر باحثًا، لكن علماؤنا المتقدمون كشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، و قبلهم أيضا الخطيب، و قبلهم أيضا الإمام البخاري ومسلم.. وهكذا أيضًا العلماء، هؤلاء الذين أنصح الأخوة أن يقرؤوا في سِيرهم؛ من أجل أن يقتدوا بهم، والله المستعان. (١)

٢٩ ـ هيبة الطالب للسؤال بسبب تضخيم والدي له

مِن طريقة والدي رَحِمَهُ الله في مجالسه مع طلابه، خاصة الأقوياء منهم أنه أحيانًا قبل أن يلقي السؤال، يذكر أنه سيلقي سؤالًا كبيرًا لفلان؛ لاختباره.

وإليكم مثالًا في ذلك:

الشيخ يقول: عندي لكَ سؤال كبير عسى ألَّا أنساه.

الشيخ: الآن جاءك السؤال يا أخانا، المرسَل مَن أول مَنْ شهر القولَ بضعفه؟

الطالب: أول من شهر المرسل بالضعف، يعني: قال: إنه ضعيف.

الشيخ: إيه، ومن قبلُ كان كثيرٌ من الناس يقبلُه.

---

(١)[المرجع/ ش جواب على سؤال: نريد أن تعرض لنا كيف بدأت رحلتك في طلب للعلم؟]

الطالب: ...

الشيخ: سهل، يا أخي.

طالب آخر: خَوَّفته..

الشيخ يضحك: لا يا ... لا تمُد.

الطالب: يقول: ما عنده.

الشيخ أحال السؤال: ما عندك، عندك يا أخانا.

الطالب: الإمام الشافعي في «الرسالة».

الشيخ: الإمام الشافعي، ما أسهل هذا! (١)

٣٠ ـ مِـنْ تواضُعِـــه رَحِمَـــهُ اللهُ

سمعت والدي رَحِمَهُ اللهُ يقول: لو كنا عند المتقدمين لضُعِّفْنا؛ لكثرة أوهامنا.

ثم قال عن بعض الضعفاء: أتظنون أن الذين ضُعِّفُوا ليسوا أصحاب زهد وصلاة وعبادة وذكر؟!

كانوا أفضل منا، ولكن ضعفوا بسبب الغفلة وسوء الحفظ أو نحو هذا.

---

(١)[ش/ مراجعة تدريب الراوي]

٣١ ـ مِنْ وعظه رَحِمَهُ اللهُ لطالبِ العلم

أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ اختلط بسبب حُلي سُرقت عليه، وقد كان من المحدثين ثم اختلط رَحِمَهُ اللهُ، فالإنسان ضعيف أدنى شيء يحصل له قد يفقد حياته، صحته، عقله، قوته؛ ولهذا كان والدي الشيخ مقبل رحمه الله أحيانًا يقف وقفة عند ذكر المختلطين، ويحذر طالب العلم من الكِبْر والعُجْبِ والغرور، ويقول عمن اختلط من المحدثين: كانوا بالأمس في زمرة المحدثين، واليوم في زمرة المجانين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٢ ـ من أسباب توفيق الله لطالب العلم تعاونه مع إخوانه

كان والدي رَحِمَهُ اللهُ يحث طلابه على التعاون وخدمة الضعيف والرحمة بالكبير والاهتمام بالتعليم، وكان يضرب لذلك مثلًا، بذلكَ الطالب مصطفى العدوي؛ لأنه كان متعاونًا في الدعوة في مركز والدي-في وقتٍ الدعوة بأشد الحاجة إلى التعاون-، خدمةً، وعطفًا على كبار السن والمرضى، وطباخةً، وتعليمًا.

فيقول والدي: الذي يتعاون مع إخوانه ويخدمهم يُرجى له الخير، وهذا مصطفى كان كذا ويذكر نحو ما تقدم، وانتظروا كيف سيكون مرجعًا!

هذه كلمة حقٍّ أقولها، ولكن والدي بعد ذلك عَلِمَ عنه أشياء، مما أدَّى إلى حذفه من طلابه الذين ترجم لهم في كتابه «الترجمة».

٣٣ ـ استجمامه (١) رَحِمَهُ اللهُ النفسي والجسدي

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ ربَّمَا يخرج بعد درس العصر برفقتِه وضيوفه إذا كان لديهم استفسارات فيذهبون مشيًا على أقدامهم إلى ما يُسمَّى بالوادي عندنا أو الصحراء، أو يمشون على أرصفة طرق مزارع دماج؛ رياضَةً للبدن، وترفيهًا للنفس.

وقد يذهبون في السيارة ويستصحبون معهم العصير، ثم يجلسون وتُطرح الأسئلة عليه والإشكالات، وفي أثناء الطريق كان يذاكر مَنْ معه.

وهذه طريقة والدي رحمه الله الحرص على مذاكرة العلم، وإشغال اللقاء والجلوس بالعلم وتقديم النصح، حتى على مائدة الطعام يسأل، وإذا قُدِّم له سؤال يجيب عنه.

٣٤ ـ هل كان يأكل رَحِمَهُ اللهُ ماشيًا؟

كنت أرى والدي أحيانًا يأكل في بيته ماشيًا، في مسجد النساء حال ذهاب النساء، أو في فناءِ دارِهِ، فكنتُ أراه يأكل زبيبًا من مزارِعنا، أو يمضغ لبانَ الذَّكَرِ، أو شيئًا فيه تسليةٌ للنفس.

ومع الأيام بعد وفاته رَحِمَهُ اللهُ جعلتُ أتساءل في نفسي ما دليل والدي على ذلكَ؟ مع ما جاء في حديث النهي عن الشُّرْبِ قائمًا.

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا».

قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا: فَالْأَكْلُ؟ فَقَالَ: ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ. (٢)

---

(١) الاستجمام: فترة راحة.

(٢) رواه مسلم (2024).

فقلت: لعل والدي يرى الحُكْمَ مقصورًا على الشُّرب.

أو كان يحتج بالحديث الذي رواه الترمذي(1880) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ».

وقد ذكره رَحِمَهُ اللهُ في «الجامع الصحيح»(2666)، وبوب عليه: الأكل في حال المشي وكذا الشرب، والجلوس في الشرب أفضل.

لكنه تراجع عن الاحتجاج به، وأورده في كتابه الآخر «أحاديث معلة»(272).

وقد وجدت الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في سلسلة الهدى والنور أفتى في هذه المسألة أن الأكل ماشيًا يجوز، واستدل بحديث ابن عمر السابق.

٣٥ ـ الأسمـــاء التي فيهـــا تزكيـــة

سمعتُ أحد الطلاب في درسٍ له يقول: ما غيَّره النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لوجود التزكية فيه، فيغيَّر، وما عدا ذلك فلا؛ لأن كثيرًا من الأسماء فيها تزكية.

فعرضت هذا على والدي رَحِمَهُ اللهُ فاستحسنه.

وفيه واحد من طلاب والدي اسمه(عادل)، وقال: أرغب أن أغيّر اسمي إلى عبدالرحمن، وقال لوالدي: اخبر الطلاب بهذا.

فتكلم والدي رَحِمَهُ اللهُ: أخوكم فلان يرى أن اسمه فيه تزكية، فيرغب أن يدعى عبد الرحمن.

وشخص آخر اسمه (محسن)، فقال أحدهم معترضًا على هذا الاسم: اسمك فيه تزكية، فوالدي ما أنكر عليه ولا أقره. وما كان يتوسع والدي رَحِمَهُ اللهُ.

٣٦ ـ فتنـــة الدنيـــا

فيه امرأة في زمن والدي رَحِمَهُ اللهُ قالت لي: زوجها يريد أن يشتغل في التجارة؛ لينفق على طلاب العلم، فأنا حمدتُه على حرصه على إعانة الطلاب.

فتكلمت مع والدي رَحِمَهُ اللهُ، فقال: يقبل على العلم، قد قال ذلك غيرُ واحد ثم فتنته الدنيا.

٣٧ ـ استعـــن بالله ولا تعجـــز

فيه امرأة محبة للخير والعلم تقول لي: ليتني أكون مستفيدة- وهي قد دخلت في السن قليلًا-.

فتحدثت مع والدي رَحِمَهُ اللهُ، فقال: قولي لها: تطلب العلم.

سبحان الله! أجوبة مفيدة، بعبارات مختصرة، الله عَزَّ وَجَل يقول: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: 2].

٣٨ ـ فضل دعاءِ الطالبِ لمعلمه

سمعت والدي رحمه الله يقول -عند مرضِه وضعفه ومع ذلك يجد نشاطًا وقوة-: لعل هذا بدعاء الإخوان. يعني: طلبته، ومحبِّي السنة والدعوة.

تنبيه: ينبغي الإخلاص في الدعاء للمعلِّم.

قال الخطيب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (653):

ويدعو القارئ للمحدث عند فراغه من القراءة عليه، وكنت أسمع أصحابنا يقولون في آخر القراءة: ورضي الله عن الشيخ، وعن والديه، وعن جميع المسلمين.

وكان يحيى بن سعيد القطان لا يعتد بدعاء أصحاب الحديث للمحدث، ويراه صادرًا عن غير نية صحيحة.

ثم أخرج بسنده عن يحيى بن سعيد القطان، يقول: دعاء أصحاب الحديث للمحدث كتكبيرة الحارس، والأثر صحيح.

٣٩ ـ هل كان يوجد مكاسب لوالدي رَحِمَهُ اللهُ؟

والدي رَحِمَهُ اللهُ يقنع بالشيء الضروري، وقد كان مِنْ أحد أسباب رفعَتِه، واشتهار صِيتِهِ-مع علمه وتقواه- قناعته وزهده.

أما المكاسب فوالدي لديه أراضي كثيرة، في الأسفل والأعلى كما يقولون، ولم يبقَ من ورثة أبيه أحد سوى والدي وأخته، وقد جعل رَحِمَهُ اللهُ نصيبه بعضه سكنات للطلَّاب.

وبعضه دفعه لبعض أقربائه من بني عَمِّه رَحِمَهُم اللهُ، فكانوا يزرعونه أنواعًا من الحبوب والثمار، كالبُرِّ والشعير والذُّرَة البيضاء والصفراء.

ومن الفواكه: العنب والزبيب والرمان والخوخ.

وكانوا يعطون والدي النصف من الغَلَّةِ، فكان ينتفعُ به هو وضيوفه، الخبز في البيت من هذه الحبوب، والفواكه من تلكَ الثِّمار، وإذا لم يكن موسم الفواكه فيوجد الزبيب يكرم به ضيوفه، وقد ينفد في وقتٍ سريع قبل أن يأتيَ موسم الفواكه.

ومرةً أُشِير عليه أن يكونَ لمطبخ الطلاب شيءٌ يعود لمصالحه، فجعلوا مزرعةَ دجاج، ولكن مع الأيام رأوا أنها أَثْقَلَتْ، ولم تأتِ بمنفعةٍ. فتُرِكَتْ، ثُمَّ جُعِلَ المكان سكنات للطلاب أصحاب العوائل، وقد عَلِقَ به هذا الاسم، فصاروا يسمون ذلك المكان وما حوله بـ المزرعة.

وقد يصل إليه شيءٌ من فاعلي الخير، بعضه خاص، وبعضه للطلَّاب.

٤٠ ـ ولنعْلَمْ أنَّ عفَّةَ النفسِ وعدمَ ذِلَّتِهَا عند والدي أغلى وأعز من حُطَامٍ فانٍ زائل

وقد كُنَّا نسمع منه النصائح المتتالية في الحث على العفَّة وعزَّة النَّفْسِ، وإليكم مثالَيْنِ في ذلك:

-محمد بن رافع القشيري: كان آية في الزهد.

أرسل له السلطان بمال، فقال محمد: قد كادت الشمس أن تغرب، أي قد قرب أجله؛ لأنه كان بلغ من العمر قدر ثمانين فرده، ثم دخلت ابنته وقالت: إنا محتاجون لشيء من المال فأبى.

علَّق عليه والدي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: لأنه من مدَّ يده ذَلَّ؛ فلهذا ترك أخذه رَحِمَهُ اللهُ.

-ومرَّة دخل إلى الرئيس كما أخبرنا رَحِمَهُ اللهُ وقبل أن يخرجَ قال له: اطلب ما تريد، فقال له والدي: لا أحتاج شيئًا ولم آتِ لهذا.

٤١ ـ لا يُمكنْ أن يكون رَحِمَهُ اللهُ ذنَبًا لأحدٍ

كان هناكَ مَن يُساعد الدعوة بشيءٍ من المال، ثم أرسل برسالةٍ إلى والدي، وقال: إن تكلمتَ في كذا فلن أستطيعَ مساعدتكم.

فقال والدي: لن أسكتَ، ويغنينا اللهُ من واسع فضله العظيم.

وكان من ثقته بربِّه يقول: ما انسَدَّ بابٌ من أبواب الرزق إلا وفتح اللهُ أبوابًا.

٤٢ ـ المرأة التي لها مِنَّةٌ على زوجِهَا

هناكَ امرأةٌ أعرفها لها يدُ عونٍ في التعاون مع زوجها، ثم أراد أن يتزوج أُخرى.

فقال بعضهم: هذه المرأة لها فضلٌ كبير على زوجِها، فإن أذِنَتْ له فذاك.

فسمعت والدي أنكر عليه، وقال: إيش تتحكَّم فيه!

أمَّا أنا فلا يتحكَّمْ فِيَّ أحد.

٤٣ ـ كان والدي لا يحاسِب عُمَّالَه

فقال لي رَحِمَهُ اللهُ: قال فلان- يعني: أحد طلابه-: لماذا لا تُحاسبُ عُمَّالَكَ؟

الرسول ﷺ كان يحاسب عُماله.

قلت: قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: بَابُ مُحَاسَبَةِ الْإِمَامِ عُمَّالَهُ. ثم أخرج(7197) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعْمَلَ ابْنَ الْأُتَبِيَّةِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَاسَبَهُ قَالَ: هَذَا الَّذِي لَكُمْ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ، وَبَيْتِ أُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» الحديث.

ورواه مسلم (1832).

قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: فِيهِ مُحَاسَبَةُ الْعُمَّالِ؛ لِيُعْلَمَ مَا قَبَضُوهُ وَمَا صَرَفُوا.

وقال الحافظ في «الفتح»: فيه مَشْرُوعِيَّةُ مُحَاسَبَةِ الْمُؤْتَمَنِ.

٤٤ ـ القليل من يصفو من طلاب العلم

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-وكان في حلقته نحو: السبعمائة أو الستمائة-، يقول: لو صفَا من هؤلاء عشرة، فخير كبير. أو بهذا المعنى.

قلت: يُذكِّرُني هذا بأثرين:

أحدهما: يقول أبو داود سليمان بن داود الطيالسي رَحِمَهُ اللهُ: كُنْتُ يَوْمًا بِبَابِ شُعْبَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ مَلْآنَ، قَالَ: فَخَرَجَ شُعْبَةُ فَاتَّكَأَ عَلَيَّ، وَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، تُرَى هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ يَخْرُجُونَ مُحَدِّثِينَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: صَدَقْتَ، وَلَا خَمْسَةٌ؟ قُلْتُ: خَمْسَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَكْتُبُ أَحَدُهُمْ فِي صِغَرِهِ ثُمَّ إِذَا كَبِرَ تَرَكَهُ، وَيَكْتُبُ أَحَدُهُمْ فِي صِغَرِهِ ثُمَّ إِذَا كَبِرَ يَشْتَغِلُ بِالْفَسَادِ، قَالَ: فَجَعَلَ يُرَدِّدُ عَلَيَّ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: ثُمَّ نَظَرْتُ بَعْدُ، فَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ. (١)

الثاني: قال الْفِرْيَابِيُّ- وهو: محمد بن يوسف -: قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَوْمًا - وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ - فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، «تُرَى هَؤُلَاءِ مَا أَكْثَرَهُمْ، ثُلُثٌ يَمُوتُونَ، وَثُلُثٌ يَتْرُكُونَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُونَهُ، وَمِنَ الثُّلُثِ الْآخَرِ مَا أَقَلَّ مَنْ يَنْجُبُ». (٢)

والأثران ثابتان.

فالقليل من يثبت، يكون المكان ملآن، ويكتظُّ بالحاضرين، والقليل منهم من يثبت ويستمر في طلب العلم، هذا يُشغل بمسؤولية، وهذا يُشغل بصوارف، وهذا يُشغل بأمراض، وهذا يَضْعف، وهذا يُفتن بالدنيا، والصوارف لا تحصر، نسأل الله العافية.

---

(١)رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»(94).

(٢) رواه الخطيب في «جامعه»(95)، والأثران ثابتان.

٤٥ ـ مِنْ ثناءِ والدي رَحِمَهُ اللهُ على الطالب في حلقته

كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ وغفر له إذا وجد من بعض الطلاب نجابة، أو أجاب إجابة صحيحة يثني عليه، ومن ذلك:

لله درك! أو يقول: لله أبوك!

يعني: لله أبوك الذي أنجب مثلك، ثم يقول له: لا تغتر يا بني، صحيح.

هكذا يحذِّر الطالب من الاغترار؛ لأن المدح قد يكون فتنة، وقد يؤثِّر فيه فيضعف عن مجاهدة الشيطان، نعوذ بالله منه.

٤٦ ـ من دعائِهِ لابنتِهِ رَحِمَهُ اللهُ

من التحدث بنعمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كان والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ يدعو: أن الله ييسرَ لي سُبُلَ العلم.

يعني: يُهيِّئُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لي سبل العلم حتى الممات.

فينبغي للصالحين من الآباء والأمهات أن يجعلوا هذا من ضمْنِ أدعيَتِهِم لأولادهم.

ونسأل اللهَ عَزَّ وَجَل أن يجعلنا كذلك نطلب العلم حتى يأتينا الموت، فنُبعث إن شاء الله في زمرة طلاب العلم وأهل العلم وإن لم نبلغ مرتبتهم.

٤٧ ـ الزم الصدق يا طالب العلم

سمعت والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: إذا علم الله صدق نيتك، فقد ييسر لك بمن يدرسك في بيتك.

قلت: فالشأن أن نصدق مع الله، والله عَزَّ وَجَل يسخر بإذنه سُبحَانَهُ، وبفضله وبكرمه يسخر ويهيئ الطريق.

٤٨ ـ النعــاس وقت الدرس

رحِمَ اللهُ والدي وغفر له، كان أحيانًا إذا وجَدَ في الدرس نعسَانًا.

يقول له: قُمْ، أيُّها النعسانُ.

فيقومُ، ويذهبُ النُّعَاس، ثم يجلس.

[نعسان: منصرف؛ لأن مؤنثه تلحقه التاء، نعسانة]

٤٩ ـ دعاؤه للطالب

ذكروا من أخلاق المعلم مع تلميذِهِ أن يدعوَ له، وقد كنتُ أسمع كثيرًا والدي رَحِمَهُ اللهُ يدعو للطالب، ويقول:

جزاكَ اللهُ خيرًا، بارك اللهُ فيك، حتى في نهاية الدرس يدعو لطلابِهِ بالحفظ، ويقول في كثيرٍ من الأوقات: تفضَّلوا، حفظكم اللهُ، وإذا غلِطَ يقول له: أصلحكَ اللهُ، أو فهَّمَه فتعجَّل الطالب، يقول له: اصبر، جزاكَ اللهُ خيرًا.

٥٠ ـ دروس والدي لا تنقطع حتى يوم العيد

كان والدي رَحِمَهُ اللهُ حريصًا على المداومة على طلب العلم والتدريس، حتى إنه يوم العيد لا تنقطع دروسُهُ.

وسمعته رَحِمَهُ اللهُ يقول: أسعد شيءٍ عندنا يوم العيد هو طلب العلم.

غير أني أشعر أنه يُخفِّفُ الدرس شيئًا ما؛ مراعاةً لفرحة الطلاب بالعيد.

تم بفضل الله الجزء الأول من سيرة والدي
الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

يتبعه الجزء الثاني بإذن الله